

كرونولوجيا الأدب الوبائي العربي والغربي بين الحقيقة والنبوءة

Chronology of Arab and Western epidemiological literature between truth and prophecy

صبرينة بوقفة^{1*}، جامعة الشهيد الشيخ العربي التبسي-تبسة، الجزائر،

sabrina.bougoufa@univ-tebessa.dz

إحسان جابري²، جامعة الشهيد الشيخ العربي التبسي-تبسة، الجزائر،

ihcen.djabri@univ-tebessa.dz

تاريخ قبول المقال: 02-12-2025

تاريخ إرسال المقال: 01-08-2025

المخلص: لطالما كان الأدب ولازال رفيق الإنسان في رحلة حياته، فهو متنفسه الوحيد الذي يعبر به عما يختلج صدره وما يدور في نفسه وعقله من آلام وآمال في أفراحه وأحزانه، وتعد الأوبئة واحدة من المحطات السلبية التي مرت بها البشرية -فيروس كوفيد-. الذي قزم العالم إلى كتيلات منغلقة على نفسها على الرغم من محاولات الدول العظمى إيجاد حلول شافية له، إلا أنها لم تستطع بجبروتها إيقاف اجتياحه الوبائي، ومن هذا المنطلق يمكن طرح الإشكالية التالية؛ ما العلاقة الرابطة بين الأدب والوباء، وما تاريخ ظهور هذا النوع الأدبي؟

ويهدف البحث إلى معالجة تاريخ ظهور الأدب الوبائي لدى الغرب والعرب ومدى حقيقته، وكيفية التعبير عنه في الشقين النثري والشعري، وكيف تنبأ الكثير من الأدباء ببعض الأوبئة التي عانت ولا تزال تعاني منها الشعوب. وفي الأخير يمكن القول أن هذا النوع الأدبي يعد بمثابة سجل حافظ بين دفتيه لتاريخ الأمم وتأوهات وأزماتها الاقتصادية والسياسية جراء تفشي مختلف الأوبئة بأسلوب فني يحضره الكثير من الخيال والعجائبية.

الكلمات المفتاحية: الأدب الوبائي، كرونولوجيا، الوباء، النبوءة.

Abstract: Literature has always been and continues to be man's companion on his life's journey, it is his only outlet through which he expresses what is troubling his chest and what is going on in his soul, and heart of groans, pains, and hopes for his missteps, joys, and sorrows, Epidemics are one of the negative stations that humanity has gone through - the Covid virus that dwarfed the world, To blocs closed in on themselves despite the attempts of the great powers to find satisfactory solutions for it However, with its might, it was unable to stop its epidemic invasion, and from this standpoint the following problem can be raised; What is the relationship between literature and the epidemic, and what is the history of the emergence of this literary genre?

The research aims to address the history of the emergence of epidemic literature in the West and the Arabs, the extent of its truth, how to express it in both prose and poetry, and how many writers predicted some of the epidemics that people have suffered and are still suffering from. Finally it can be said that this literary genre is considered a record that preserves the history of nations, their groans, and their economic and political crises as a result of the outbreak of various epidemics, in an artistic style attended by a lot of imagination and wonder.

Key words: epidemiological literature, chronology, epidemic, prophecy.

مقدمة:

يعد أدب الأوبئة من الأجناس الأدبية التي برزت في فترات الأزمات الصحية الكبرى، حيث يعكس التفاعل بين الإنسان والمرض من خلال سرديات تظهر التحديات النفسية والاجتماعية والثقافية، وقد تجلّى ذلك في أعمال أدبية خالدة مثل الطاعون لألبير كامو والحب في زمن الكوليرا لغابرييل غارسيا ماركيز، وعيون الظلام لدين كونتزر، وتكمن إشكالية البحث فيما يلي:

كيف يعبر أدب الأوبئة عن التوترات النفسية والاجتماعية والوجودية التي يمر بها الأفراد والمجتمعات أثناء الأزمات الصحية؟

وماهي الأبعاد الرمزية والفلسفية التي يقدمها هذا الأدب لفهم الإنسان في مواجهة الموت والمرض؟

أما عن أهداف البحث وفرضياته فتتمثل في:

- تحليل كيفية تصوير أدب الأوبئة لتجربة الإنسان أثناء الأزمات الصحية؛

- استكشاف الأبعاد الرمزية والفلسفية في هذا الأدب؛

- مقارنة بين الأعمال الأدبية المختلفة لفهم التنوع في التعبير عن الأوبئة؛

- تقديم رؤية نقدية حول دور هذا الأدب في تشكيل الوعي الاجتماعي والثقافي.

أما عن الفرضيات فتتمثل فيما يلي:

- يقدم أدب الأوبئة تصورا دقيقا لتجربة الإنسان النفسية والاجتماعية أثناء الأزمات الصحية؛

- يسهم هذا الأدب في نقد الأنظمة الاجتماعية والسياسية من خلال تسليط الضوء على النقائص التطبيقية والفساد؛

- يوظف أدب الأوبئة الرمزية لتقديم رؤى فلسفية حول معنى الحياة والموت والوجود، وقد اعتمدنا في بحثنا على المنهج الوصفي التحليلي من خلال تحليل نصوص مختارة من أدب الأوبئة ومقارنة بين الأعمال الأدبية المختلفة لفهم التنوع في التعبير عن الأوبئة.

المبحث الأول: مفهوم مصطلح الأدب الوبائي

المطلب الأول: مفهوم الأدب

ورد في لسان العرب لابن منظور قوله: «الأدب الذي يتأدب به الأديب من الناس سمي أدبا لأنه يؤدب الناس إلى المحامد وينهاهم عن المقابح، وأصل الأدب الدعاء (...) قال أبو زيد: أدب الرجل يؤدب أدبا فهو أديب، وأدب بالضم فهو أديب من قوم أبعاد، وأدبه فتأدب علمه واستعمله الزجاج في الله عز وجل فقال: وهذا ما أدب الله تعالى به نبيه صلى الله عليه وسلم وفلان قد استأدب بمعنى تأدب ويقال للبعير إذا ريضه وذلك أديب مؤدب والأدبة والمأدبة كل طعام صنع الدعوة أو عرس»¹، وعليه يمكن القول أن مصطلح الأدب عرف تطورا ملحوظا عبر امتداد العصور ففي العصر الجاهلي كان يدل على الدعوة إلى الطعام والوليمة ومع ظهور الإسلام والدعوة المحمدية المباركة، تطور المصطلح ليدل على الدعوة إلى مكارم الأخلاق ومحامدها ونبذ القبيح منها.

أما في الاصطلاح العام فلقد تعددت آراء النقاد والباحثين من القدامى والمحدثين وشق كل واحد منهم طريقه للوصول إلى تعريف شامل ومتكامل لمصطلح (الأدب)، وبداية حدد "ابن خلدون" 1332-1406م، في مقدمته مفهوم اللفظة بقوله: «الأدب هو حفظ أشعار العرب وأخبارها والأخذ من كل علم بطرف»². ومن هنا يتبين أن المفكر ربط مصطلح الأدب بحفظ كل ما وصل إلينا من الدواوين والأشعار والكتب في الجاهلية والإسلام وإعادة النظر فيها لكونها بلا ريب تمثل بطاقة هوية العرب نلمس من خلالها أيامهم وأخبارهم وتاريخهم وأنسابهم، كما عرف الباحث "أحمد الهاشمي" المصطلح في كتابه: «جواهر الأدب في أدبيات وإنشاء لغة العرب» بقوله: «الأدب هو الإنسان بكل ما كلمة إنسان من معنى لأنه يصدر عنه ويعود إليه ويتحدث عن همومه وشؤونه ومشاغله هو في كل ذلك انطلاق حر لا يمكن تحديده لأن النفس الإنسانية بعيدة الغور ومترامية الأبعاد، ومن العسير قوننتها وإخضاعها للتحليل العلمي

¹. أبو الفضل جمال الدين ابن منظور، لسان العرب، (مادة أ.د.ب)، دار صادر. بيروت، لبنان، 1963، ص70.

². ابن خلدون عبد الرحمن، المقدمة، دار القلم، بيروت، 1981، ص401.

ومن المستحيل حصر الأدب في حقل الفكر الموضوعي وتجريده من الارتعاشات الذاتية التي تعطيه بعده الإنساني وجماله وديمومته»¹.

نستنتج مما سبق أن الأدب هو وليد التجارب الإنسانية من الإنسان وإلى الإنسان يصدر عنه ويعبر عما يدور في خلد ومشاعره وأحاسيسه وعما يجول في خاطره، وكأن الأدب هو إعادة تصوير للحياة الإنسانية بأسلوب فني جمالي مبدع بعيد كل البعد عن كل ما هو موضوعي ذلك أنه تابع من ذات تحس وتشعر فتعبر.

المطلب الثاني: مفهوم الوباء

الوباء أو «الوبأ اسم وبى وبى صفتان مشتبهتان (...) تنطوي على دلالة المرض العام المنتشر، وتكرست تلك الدلالة في الاستعمال اللغوي العام وفي التأليف الطبي، كما تتأكد نفس الخلاصة عند استقراء المعاجم العربية منذ كتاب العين للخليل بن أحمد الفراهيدي في نهاية القرن الثاني الهجري، وصولاً إلى تاج العروس، لمرتضى الزبيدي في نهاية القرن الثامن عشر، وعلى هذا الأساس يمكن القول أن الوباء مصطلح مرادف للأمراض الشديدة الطويلة الأمد والسريعة الانتشار بين الأمم، والتي عجز الطب في إيجاد حلول شافية لها.

المطلب الثالث: الأدب الوبائي

لطالما كان الأدب وعلى مر العصور واختلاف الحضارات مرآة عاكسة لأهم قضايا الشعوب والأمم باختلاف أشكاله سواء كانت شعراً أم نثراً، ولطالما عانت البشرية من الكثير من الأمراض والأوبئة التي فتكت بالأرواح، كما دمرت اقتصاد بلدان وشردت عائلات بأكملها، «وكانت جائحة المرض أو الأوبئة تياراً من تيارات الأدب المؤثر الذي نسج من خلال رواياته معاناة وأمل البشرية في أصعب حالاتها ونعرض على سبيل المثال ليس الحصر عدد من أهم ما كتب في هذا التيار، وربما تكون "كورونا" هي محنة تمثل نقطة فاصلة أخرى قد يرونها أدباء، آخرون مستقبلاً، لم يكن كورونا هو العدو الوحيد الذي أصاب الذعر في البشرية، فقد عانت بعض الدول في القرون الماضية من هجمات أخرى لأقران كورونا، فمن الطاعون للمالاريا للأنفلونزا الإسبانية وغيرها من الهجمات الشرسة لأجساد البشر، كانت الثقافة والفنون هي المنفذ الوحيد الذي تلجأ إليه مختلف الجنسيات للترفيه عن معاناته، وكما رأينا في الكثير من الفيديوهات المنتشرة على مواقع التواصل الاجتماعي على الأنترنت فالشعوب تخرج من نافذ بيوتها للغناء

¹. الهاشمي أحمد، جواهر الأدب في أدبيات إنشاء لغة العرب، دار الجبل، بيروت- لبنان، (د.س).

والرقص، ومشاركة بعضهم البعض معاناة الوحدة الفردية لينسجوا نوعاً من المتعة المشتركة بين غرباء لم يعودوا كذلك بعد كورونا¹.

وعلى هذا الأساس يمكن القول أن أدب الأوبئة هو نوع أدبي يتناول تأثير الأوبئة والأمراض المعدية على الأفراد والمجتمعات، مسلطاً الضوء على التغيرات النفسية والاجتماعية والثقافية التي تطرأ خلال فترات الأزمات الصحية، ويعتبر هذا الأدب مرآة تعكس هشاشة الإنسان أمام القوى الطبيعية وتبرز صراعه مع الموت، كما تظهر ردود الفعل البشرية من التضامن إلى الأنانية.

أما عن أهمية هذا النوع الأدبي فهو يعد وسيلة لفهم ردود الفعل البشرية في مواجهة الأزمات، كما أنه يساهم في نقد الأنظمة الاجتماعية والسياسية ويعزز الوعي الجماعي حول أهمية التضامن والتعاون خلال فترات الأوبئة، كما يحفز على التأمل في القيم الإنسانية الأساسية مثل الحياة والموت والعدالة والحرية.

أما عن الخصائص المميزة لأدب الأوبئة فتتمثل في:

- **التوثيق والتخيل:** حيث يمزج الكاتب بين السرد الواقعي والتخيلي كما أنه يوثق لتجارب حقيقية أو يخيل أحداثاً مستوحاة من الواقع، كما في رواية "الطاعون" لألبير كامو التي تصور مدينة وهران الجزائرية خلال تفشي الوباء.

- **الرمزية والدلالة:** يستخدم الوباء كرمز لمشكلات أوسع مثل الفساد الاجتماعي أو الاحتلال، كما في "الطاعون" التي تعتبر رمزاً للغزو النازي في أوروبا.

التأمل الفلسفي والوجودي: يتناول قضايا مثل معنى الحياة والموت والحرية والإرادة، كما في رواية "الطاعون" التي تطرح تساؤلات حول القدر والوضعية الإنسانية.

- **التركيز على التغيرات الاجتماعية والنفسية:** حيث يبرز كيف تؤثر الأوبئة على سلوك الأفراد والمجتمعات من خلال قصص حب وفراق وتضحيات وصراعات داخلية كما في "الحب في زمن الكوليرا" لغابرييل غارسيا ماركيز.

المبحث الثاني: نشأة الأدب الوبائي وتاريخه

¹. الوجيه مروة، الأدب في زمن الأوبئة، تاريخ النشر، 2021/09/20، www.daily.roselyoussef.com، تاريخ التصفح: 2024/04/05.

لم يكن الأدب بمنأى عن كل ما تخطته الأمم من صعوبات ومشاكل وأزمات في حياتها ففي البداية وفي العصر اليوناني بالتحديد «وردت الأوبئة فرسخت العالقة السببية بين الوباء والخطيئة، جاء في الملحمة الشعرية الإلياذة 800 قبل الميلاد، أجامنون بأر ابنه قسيس الإله أبولو، فيتقشى الطاعون في جيش اليونان ثم تسالت الفكرة السببية من الثقافة اليونانية إلى مختلف المعتقدات والأديان، هذا ما رأيناه اليوم معاصرنا مع تفشي الجائحة التنفسية كورونا الوباء الذي اختلفت فيه وعليه فتاوى رجال الدين، بمختلف ديانتهم ومذاهبهم، إذ اعتبروه عقوبة سماوية»¹.

وعلى هذا الأساس يمكن القول أن الوباء نشأ في بدايته وتاريخه الأولى من منطلق ارتباطه بالدين والخطيئة وكأنه عقاب من الآلهة لارتكاب البشر لأخطاء جسيمة، أي ارتبطت الأوبئة في العصور القديمة بالعقوبات الإلهية وهي أيضا علامات على فساد المجتمعات، ومن هنا يمكن القول أن هوميروس تناول الطاعون في ملحمة الشهيرة "الإلياذة" حيث يصيب هذا الداء جيش الإغريق بسبب غضب الإله أبولو.

وخلال العصور الوسطى وخاصة أثناء تفشي الطاعون الأسود في أوروبا ظهرت العديد من الأعمال الأدبية التي تناولت الأوبئة ومن أبرزها نذكر "ديكاميرون" للكاتب الإيطالي جيوفاني بوكاتشيو الذي يصور مجموعة من الأشخاص يهربون من الطاعون في فلورنسا ويقضون وقتهم في سرد القصص.

أما في العصر الحديث فبدأ الأدباء يتناولون الوباء من منظور اجتماعي فلسفي وأحد أبرز هذه الأعمال هو رواية "الطاعون" للكاتب الفرنسي "ألبير كامو" التي نشرت عام 1947، وتدور أحداث الرواية في مدينة وهران الجزائرية حيث يجتاحها وباء الطاعون ويظهر الكتاب ردود فعل السكان تجاه هذا الوباء، وتعتبر الرواية رمزا لمقاومة الاحتلال النازي لفرنسا حيث يشبه الطاعون بالاحتلال ويظهر الكاتب كيف يمكن للمجتمع أن يتكاتف لمواجهة الأزمات.

المبحث الثالث: نماذج الأدب الوبائي

المطلب الأول: الحب في زمن الكوليرا

وهي من الروايات الأولى في مجال أدب الأوبئة وهي للروائي "جابريل غارسيا ماركيز" الكولومبي نشرت سنة 1985 وتم تحويلها إلى فلم سينمائي يحمل نفس الاسم وتبدأ أحداث الرواية في إحدى قرى «الكاريبي

¹. العامري خلدون، الأدب الوبائي مفاهيم، تاريخ النشر، 2021/12/20، www.peacehorizons.com، تاريخ التصفح:

2024/08/04.

أين ولدت قصة حب كبيرة بين شاب كان يعمل في التلغراف وفتاة في غاية الجمال وشاعت الأقدار أن تبعد الحبيبين عن بعضهما البعض وتزوجت الفتاة التي تدعى فيرمينا من طبيب من الطبقة الراقية (...)، فلم يكن أمام العاشق الحزين الذي يدعى فلورنتينو إلا أن يعاهد نفسه بأن يصبح شخصا مهما في مجتمعه (...). وبعد أن توفي زوجها الذي كان يقف أمام تحقيق حلمه استعجل الشاب العاشق وقام بعرض زواجه على فيرمينا في يوم وفاة زوجها، لكن فيرمينا غضبت بشدة ورفضت طلبه وطردته إلا أنه لم ييأس وبالفعل ما هي إلا أيام قليلة حتى قام بإرسال مجموعة من الرسائل يحدثها فيها عن الحياة والشيخوخة والزواج، ولحسن الحظ سهلت تلك الرسائل الطريق على فلورينتو حيث نالت رضاها وإعجابها وأصبحت أكثر تقبلا لفكرة الشيخوخة والموت، ووافق ابنها على هذه العلاقة وشجعها على قبول فلورينتو، فقد كان يرى أن دخولها في علاقة معه سيساعد على إخراجها من عزلتها لكن ابنتها لم ترضى على علاقة والدتها به، فيما بعد قام فلورينتو بدعوته إلى نزهة بحرية على متن سفينة وهذا ما وفر فرصة اقترابهما من بعض أكثر، ولكي يختلي بمحبوبته قرر فلورينتو أن يشيع في السفينة أن وباء الكوليرا قد انتشر ليتخلص من المسافرين فقام ريان السفينة برفع شعار الوباء وأعلنت السلطات الحجر على السفينة لتستمر رحلتها عبر النهر ولا تتوقف إلا للتزود بالوقود دون أن ترسو في مكان، فلم يهتم العاشقان بذلك لأنهما كانا يشعران أنهما وصلا لمرحلة ما وراء الحب وهي مرحلة الحب لذات الحب¹.

أما عن الأبعاد الفلسفية والرمزية للرواية فتتمثل فيما يلي:

- **الحب كمرض لا شفاء منه:** يصور ماركيز الحب كداء معد لا يشف منه صاحبه ويظل يلزمه طوال حياته ويظهر ذلك في إصرار فلورنتينو على حب فيرمينا رغم مرور الزمن وتغير الظروف.
- **الزمن والشيخوخة:** تعالج الرواية تأثير الزمن على الأفراد وكيف يمكن للحب أن يتجدد حتى في مراحل متقدمة من الحياة وتظهر العلاقة بين فلورنتينو وfermina كيف يمكن للحب أن يتجاوز الزمن والشيخوخة.
- **الصراع الطبقي والمجتمعي:** تبرز الرواية التفاوت الطبقي بين الشخصيات وكيف يؤثر ذلك على علاقاتهم واختياراتهم حيث تظهر تزوج فيرمينا من الدكتور أورينو اجتماعيا أكثر منه عاطفيا.

¹. هيئة التحرير، ملخص رواية الحب في زمن الكوليرا، تاريخ النشر، 2021، موقع النجاح www.annajah.net، تاريخ التصفح:

2024/04/13.

ومن الملاحظ أيضا أن ماركيز في هذه الرواية يتميز باستخدامه للأسلوب السردى غير الخطى حيث ينتقل بين الأزمنة والأماكن بسلاسة مما يضفي عمقا وتعقيدا على الأحداث، كما استخدم لغة شاعرية مليئة بالصور البلاغية مما يعزز من تأثير الرواية على القارئ.

المطلب الثاني: رواية الإنسان الأخير

وهي من الروايات الغربية الأكثر شهرة في الأدب الإنجليزي للكاتبة "ماري شيلي" والتي نوهت عن رؤية استشرافية تنبؤية عن وباء سيضرب الإمبراطورية البريطانية «وتبدأ أحداث الرواية سنة 2073 وتنتهي سنة 2100 هذه الرواية التي ستلقى وابلا من النقد والسخرية إبان فترة صدورها أي قبل أن يصبح أدب الكوارث أدبا معترفا به في ستينيات القرن العشرين، لقد كانت ماري شيلي في روايتها هذه عرافة تنبأت بما نعيشه اليوم من كوارث وأوبئة، وأيضا ازدياد أعداد اللاجئين والتغيرات المناخية المميتة التي شهدتها الحاضرة الإنسانية في بداية القرن الحادي والعشرين، إنها رواية استشرافية بامتياز، حيث يمكن اعتبار ماري شيلي من الكتاب الرواد لما يعرف الآن بأدب الكوارث أو ما بعد النهايات»¹، ولم يكن شكسبير فيما مضى بمنأى عن هذا الأدب خصوصا بمعاشيته له وفقدانه لأشقائه وابنه الأكبر ذو الإحدى عشر عاما، حيث ضرب الطاعون آنذاك البلاد واستهدف الصغير قبل الكبير إذ وجد شكسبير وقتها نفسه بلا منافس في المسارح واستطاعت فرقته المسماة بـ "رجل الملك" «أن تستحوذ على مرح بلا كفرا يبرز في عام 1608م مستفيدة من غياب أحد المنافسين الشباب بسبب الطاعون، وبدأت فرقة شكسبير في تقديم أعمال أكثر تميزا (....) بالإضافة إلى الفرص التجارية فقد قدم الطاعون مخزونا قويا من الاستعارات الدرامية، وظهرت بقوة في نصوص شكسبير في تلك الفترة خاصة في مسرحية روميو وجولييت وإصابة الراهب بالطاعون قبل أن يخبر روميو أن حبيبته مازالت على قيد الحياة»².

وعلى هذا الأساس يمكن القول أن رواية الإنسان الأخير تعد من أبرز الأعمال للكاتبة "ماري شيلي" وتعد تكملة لروايتها "فرانكشتاين" وتدور أحداث الرواية في المستقبل القريب حيث يصيب وباء قاتل العالم مما يؤدي إلى انقراض البشرية باستثناء شخصية واحدة تدعى "فيرني" التي تعد الشخصية الرئيسية في الرواية، أما عن الموضوعات الرئيسة في الرواية فتتمثل في:

¹. هيئة التحرير، ملخص رواية الحب في زمن الكوليرا.

². الوجيه مروة، الأدب في زمن الأوبئة.

- **الأوبئة وانقراض البشرية:** حيث تركز الرواية على انتشار وباء قاتل يدمر البشرية مما يثير تساؤلات حول هشاشة الإنسان أما الكوارث الطبيعية، كما أن الرواية تظهر كيف يمكن للأوبئة أن تغير مجرى التاريخ وتؤدي إلى انقراض حضارات بأكملها.

- **الفردية والوجود:** تناقش الرواية مفهوم الفردية من خلال شخصية "فيرني" الذي يصبح الناجي الوحيد ويحاول الحفاظ على الذاكرة البشرية، كما أن الرواية تثير تساؤلات حول معنى الحياة والوجود في غياب الآخرين.

- **السلطة والسياسة:** تظهر الرواية كيف تؤثر الأوبئة على الهياكل السياسية والاجتماعية كما أنها تناقش الصراعات بين الأحزاب السياسية وكيف يمكن أن تؤدي إلى انهيار النظام الاجتماعي في مواجهة الكوارث.

وقد استخدمت الكاتبة "ماري شيلي" في هذه الرواية أسلوب السرد من منظور الشخص الأول حيث يسجل "فيرني" تجربته الشخصية، كما أن الرواية تدمج بين الخيال العلمي والدراما الإنسانية مما يعزز من تأثيرها العاطفي والفلسفي.

كما صورت الكثير من الروايات الغربية الأوبئة بعضا من الأمراض الفتاكة بالبشر برؤية رمزية استشرافية تتبؤ بحدوث كوارث مستقبلية، فعلى سبيل المثال لا الحصر أماطت الكاتبة الإنجليزية ماري شيلي اللثام في روايتها "فراكشتاين" عن رمزية سوداوية تتمثل في وحش ممسوخ «يمكن أن يكون رمزا لكورونا في زمننا هذا، إذ يموت هذا المسخ في نهاية الرواية، ولكن بعد أن يكون قد قضى على الكثير من الأحباء، أما في الحالات النادرة التي كتبت فيها الرواية في زمن قريب من زمن انتشار الوباء فنكتشف أن الأبطال ينتمون إلى جغرافيا تبعد بنسب متفاوتة عن بؤرة الوباء، وهو الأمر الذي نستشفه من رواية الديكاميرون لجيوفاني بوكاتشيو التي صدرت عام 1353م، والتي تسرد مائة قصة داعرة ومضحكة وجنسية رواها أبطال الرواية على مدى عشرة أيام خلال حجرهم الصحي في فلورنسا، بينما كان الوباء يمتد في شمال إيطاليا وهي تقنية أراد من خلالها الكاتب أن يمنح لأبطاله فرصة للعيش وإلهائهم عما يمكن أن يتسرب إليهم من فضاعات ومخاوف»¹، وبالحديث أيضا عن رمزية الطاعون فقد أشار الروائي "ألبيير كامو" الكاتب الفرنسي ذو الأصول الجزائرية في روايته "الطاعون" عن وباء خطير اجتاح المدن بحسب الرواية «كانت مدينة وهران بدأت تشهد انتشار وباء الطاعون الذي ضربها وأوقع فيها ضحايا كثيرا وعزلها عن الجوار،

¹. هيئة التحرير، ملخص رواية الحب في زمن الكوليرا.

ويكتشف الدكتور برناريو أحد أبطال الرواية أن هناك مرضاً قد بدأ يظهر في الأفق وأصيب عدد من سكان وهران، تزامن ذلك مع نفوق أعداد كبيرة من الجرذان وامتلاء الشوارع بها، وبعد تقشي المرض وعزل المدينة بالكامل وبعد فترة عصبية تمر على وهران يتم اكتشاف اللقاح المتلائم.

يرى النقاد أن "البير كامو" ربما استخدم الطاعون كرمز إلى النازية التي كانت بدأت تنتشر، وكانت مقاومة المرض من قبل سكان المدينة، ماهي سوى مقاومة لهذا الوباء الهتلري المتقشي في ألمانيا وأوروبا، ويقول كامو في رد على مقال كتبه الناقد "رولان بارت" عن الرواية «رواية الطاعون التي شنت أن تقرأ على مستويات عدة نحوي مضمونا واضحا هو معركة المقاومة الأوروبية ضد النازية»¹.

أما إذا انتقلنا إلى أدبنا العربي فلم يكن بمنأى عن الأمراض المنتشرة والأوبئة التي حيرت العلماء وقضت على الكثير من الأحباء، والإخوة فكانت بذلك سببا في إلهام قريحة الشعراء والأدباء العرب ومن بينهم نذكر "نازك الملائكة" التي تحدث طويلا في قصيدتها والمعنونة بـ: "الكوليرا" عن الصور المؤلمة لوقع أرجل الخيل وهي تجر عربات الموتى ضحايا الوباء في ريف مصر تقول في ذلك:

سكن الليل

أصغ إلى وقع صدى الأناث

في عمق الظلمة، تحت الصمت على الأموات

صرخات تعلو تضطرب

حزن يتدفق يلتهب

يتعثر فيه صدى الآهات

في كل فؤاد غليان

في الكوخ الساكن أحزان

في كل مكان روح تصرخ في الظلمات

في كل مكان يبكي صوت

هذا ما قد مزقه الموت².

الموت الموت الموت.

ثم تتواصل أبياتها بكل ألم وحزن قائلة طلع الفجر

¹. الوجيه مروة، الأدب في زمن الأوبئة.

². الملائكة نازك، ديوان نازك الملائكة، دار عودة، بيروت، 1997، ص136.

أصغ إلى وقع خطى الماشين

في صمت الفجر أصح أنظر ركب الباكين
عشرة أموات عشرونا¹.

حيث تبدأ الشاعرة «هنا بكلمة طلع الفجر ولكن الفجر هنا لا يدل على الإشراق والأمل بل هو دليل على اليأس لأن هناك أخبارا ستسمع من وفاة ورحيل، والشاعرة مازالت تشرح حال البلاد بعد تفشي المرض فهي تعبر عن الأحداث وما صاحبها من دمار لا يعتمد على الوطن، فحسب، بل هو دمار في البشرية ذاتها، إذ تقول إن الأعداد في تزايد والموت يقضي على الناس ولا يفرق بين صغير وكبير فأعداد الموتى لا تحصى والموت يقضي على أمل الغد»².

وعلى هذا الأساس يمكن القول أن قصيدة الكوليرا هي أحد القصائد الشهيرة للشاعرة العراقية "نازك الملائكة" نشرت ضمن ديوانها " شظايا ورماد" عام 1947، وتتألف القصيدة من أربعة أدوار كل دور يتكون من ثلاث عشرة بيتا، وهذا البناء الدوري يشير إلى تأثير الأشكال الشعرية التقليدية مثل الموشحات والمسمطات، أما عن الموضوعات الرئيسية في القصيدة فتتمثل فيما يلي:

- **الوباء والموت:** تتناول القصيدة انتشار وباء الكوليرا في مصر وتأثيره المدمر على المجتمع حيث تصور الشاعرة مشاهد الموت والدمار مما يعكس قسوة الواقع الذي عاشته.

- **الوحدة والعزلة:** تظهر القصيدة شعور الشاعرة بالوحدة والعزلة في مواجهة الكارثة حيث تعبر عن الألم النفسي الناتج عن فقدان الأحبة والشعور بالعجز أمام الموت.

- **الثورة على القيود:** وذلك من خلال كسرهما للقيود التقليدية للشعر العربي حيث تعبر نازك الملائكة عن رغبتها في التجديد والتغيير وتظهر القصيدة تمردا على الأشكال الشعرية التقليدية وتطلعا نحو شعر أكثر حرية وتعبيرا.

أما عن الأسلوب فتتميز الكوليرا بلغة شعرية مكثفة ومؤثرة، حيث تستخدم الشاعرة صورا شعرية قوية وتعبيرات مؤلمة تعكس عمق التجربة الإنسانية في مواجهة الموت والكارثة، كما أن الأسلوب السرد في القصيدة يضفي عليها طابعا دراميا ويعزز من تأثيرها العاطفي.

¹. المصدر نفسه، ص139.

². السيد رهب، تحليل قصيدة الكوليرا لنازك الملائكة، تاريخ النشر، 2021/12/22، موقع سطور www.sotor.com، تاريخ التصفح: 2024/04/14.

ومن هنا يمكن القول أن الأدباء والشعراء على حد سواء كانت تجاربهم الشعرية والروائية تجربة استثنائية خلال فترة الأوبئة سجلوا من خلالها محاكاة لما مرت به الأمم وهو ما جسده أيضا رواية «زينب» لمحمد حسين هيكل والتي جمعت بين دفتيها الكثير من المواضيع من قبل «الأمراض والأوبئة التي عانت منها المجتمعات العربية جراء المجاعات وأمراض الحربين العالميتين (من طاعون وكوليرا ...)»، والأزمة الاقتصادية العالمية»¹.

ومن جهة أخرى يمكن القول أن أدب الأوبئة ليس مرآة عاكسة وسجلا يحفظ بين دفتيه تاريخ الأوبئة والأمراض التي مرت بها البشرية فحسب، وإنما يمكن اعتباره أيضا أرضا خصبة حاملة لبذرة أمل «فجل الروايات تنتهي بزوال الكارثة وعودة الحياة تدريجيا إلى طبيعتها ، وبالطبع مع خسائر فظيعة في الأرواح غير أن هذه الحياة تغدو في كل مرة نقطة بداية لعالم جديد، فبعد زوال جائحة الأنفلونزا الإسبانية مثلا في سنة 1919، انبرى العديد من الدول الغربية لإنشاء أنظمة صحية قوية تضمن الصحة كحق من حقوق الإنسان للجميع وتقديم الخدمة الصحية بالمجان، نذكر على سبيل المثال روسيا التي بدأت بإنشاء نظام صحي شامل سنة 1920، وبريطانيا التي أثمرت تلك الجهود فيها في العام 1948 بتأسيس المنظومة الوطنية للخدمات الصحية أو ما يعرف بـ NHS»².

أما في عصرنا الحالي فلم يكن أدبنا العربي بمنأى عما يمر به العالم من أزمات ومحطات جراء تفشي وباء كورونا المستجد الذي قلص العالم وجعله منحصرًا منغلًا على نفسه وفي ذلك يقول الشاعر التونسي "عبد العزيز الهمامي":

فَلْتَدْخُلْ بَيْتَكَ لَوْ تَسْمَحُ

العالمُ مَوْبُوءٌ

وهَوَاءُ الشَّارِعِ يَجْرَحُ

الْمَنْزِلُ وَرَدَّتْكَ الْأُولَى

ومكانك في الغرفة أوضح³.

¹. العامري خلدون، الأدب الوبائي مفاهيم.

². هيئة التحرير، ملخص رواية الحب في زمن الكوليرا.

³. هيئة التحرير، ملخص رواية الحب في زمن الكوليرا.

كما تعدى الوباء عتبة المرض إلى عدد الإصابات والوفيات بالمئات والآلاف في كل أنحاء المعمورة بل تعدى ذلك إلى "إغلاق دور العبادة وعدم القدرة على إجابة النداء المنبعث من المساجد، شكّل حالة غريبة وجديدة على المسلمين أسالت دموع الكثيرين وأبكتهم. وكان المشهد الأصعب خلو صحن الكعبة من طائف أو مصل، لكن الشعراء يرون الأمور بقلوبهم، مما جعل الشاعر العراقي عمر عناز يرى غير ما يرى الناس، فيقول:

خلا من زائريه البيت، قالوا

فقلت: أراه مُزْدَحِمَ الفناء

فسيحا، غادرتُه الناسُ كيما

تَطوفُ به ملائكةُ السماء

توقف الكثيرون عند هذه الجائحة معولين عليها في رد الإنسان إلى إنسانيته بعد أن أخذته الحياة الحديثة في لهاث وحركة تخلو من المشاعر، وهذا مما عالجّه الشاعر السوداني بحر الدين عبد الله في قصيدة له يقول في مطلعها:

هذا الإنسان الآليُّ

سيقتل حُلْمَ الفيروساتِ

ويهزمُ بالحُبِّ

سُلالاتِ الكوفيدِ

ويكمل بحر الدين قصيدته قائلا:

هذا الإنسان

الآليُّ

سيكفر بالكمّامات

ويؤمنُ

بالنغم النورانيِّ

وأمصّال التوحيد¹.

¹. بطاينة آدم ، في الشعر والرواية والمقال هكذا تسال كورونا إلى دفاتر الأدباء، تاريخ النشر، 2021/08/12، موقع الجزيرة: www.aljazeera.net ، تاريخ التصفح: 2024/04/15.

وتعد قصيدة "كورونا" للشاعر عبد العزيز الهمامي من أبرز الأعمال الأدبية التي تناولت الكوفيد حيث جسدت تأثيراتها النفسية والاجتماعية من خلال لغة شعرية مؤثرة، فالقصيدة ليست مجرد توثيق للحدث بل هي دعوة للتأمل والتفكير في كيفية تعامل الإنسان مع الأوبئة والكوارث، أما عن الموضوعات الرئيسية للقصيدة فنتمثل فيا يلي:

- **الوباء كرمز للتهديد الوجودي:** حيث يصور الشاعر فيروس كورونا كتهديد غير مرئي يهاجم البشرية جمعاء مما يثير تساؤلات حول هشاشة الإنسان أمام القوى الطبيعية ويظهر النص كيف أن هذا الوباء يجبر الأفراد على مواجهة مخاوفهم وقلقهم من المجهول.

- **العزلة والحجر الصحي:** تبرز القصيدة العزلة التي فرضها الحجر الصحي على الأفراد وكيف أن هذه العزلة قد تكون فرصة للتأمل الذاتي والتواصل مع الذات، ومع ذلك تظهر أيضا التحديات النفسية التي قد تنشأ نتيجة لهذه العزلة.

- **الأمل والتضامن الإنساني:** على الرغم من الأجواء الكئيبة التي تسيطر على القصيدة إلا أن هناك إشارات للأمل والتضامن الإنساني حيث يظهر الشاعر كيف يمكن للإنسان أن يتجاوز المحن من خلال التكاتف والتعاون.

أما عن الأسلوب الفني فنتميز القصيدة بلغة شعرية مكثفة ومؤثرة، حيث يستخدم الشاعر الصور البلاغية والتشبيه والاستعارات لإيصال مشاعره وأفكاره، كما أن الأسلوب السريدي في القصيدة يضفي عليها طابعا دراميا ويعزز من تأثيرها العاطفي.

وفي الأخير يمكن القول أن قصيدة كورونا تعد نموذجا للأدب الذي يستجيب للأحداث العالمية الكبرى فمن خلال هذه القصيدة يظهر الشاعر كيف يمكن للأدب أن يكون مرآة للمجتمع ويعبر عن همومه وتحدياته.

الخاتمة:

يعد أدب الأوبئة من أبرز الألوان الأدبية التي جسدت معاناة الإنسان في مواجهة الكوارث الصحية، حيث قدم الأدب العربي والعالمي متعددة تعكس تأثير الأوبئة على الأفراد والمجتمعات.

تعود جذور أدب الأوبئة إلى العصور القديمة حيث تناول الأدباء والفلاسفة الوباء كظواهر طبيعية تؤثر في الإنسان حيث نجد الأوبئة موضوعا مشتركا في العديد من الأعمال الأدبية مثلما تجلى في قصائد الشعراء الذين وصفوا تأثير الأوبئة على المجتمعات.

- غالبا ما تستخدم الأوبئة في الأدب كرمز للتهديد الوجودي، حيث تظهر هشاشة الإنسان أمام قوى الطبيعة، كما تعبر الأوبئة عن الخوف من المجهول وتجسد الصراع بين الحياة والموت وتبرز التحديات النفسية والاجتماعية التي يواجهها الأفراد.

- يعد أدب الأوبئة وسيلة فعالة للتوثيق والتأمل حيث يسجل الأديب تجاربه وملاحظاته حول الأوبئة مما يسهم في فهم تأثيراتها على الأفراد والمجتمعات من خلال الأدب، كما يمكن للقراء أن يتعرفوا على كيفية تعامل المجتمعات مع الأوبئة وكيفية تأثيرها على العلاقات الإنسانية والقيم الاجتماعية.

- علاوة على ذلك يتيح أدب الأوبئة للأفراد فرصة للتعبير عن مشاعرهم وأفكارهم حول هذه الكوارث مما يساعد في عملية الشفاء النفسي والتعافي الجماعي.

- تعد رواية الإنسان الأخير لماري شيلي عملا أدبيا رائدا في مجال أدب الكوارث والأوبئة من خلال تناولها لموضوعات مثل الأوبئة والفردية، السلطة كما طان الرواية تقدم رؤية فلسفية واجتماعية حول مصير الإنسان وتفاعله مع الكوارث وتظل الرواية ذات صلة بالأحداث المعاصرة مما يجعلها قراءة ملهمة للتفكير في مستقبل البشرية.

- تعد قصيدة الكوليرا لنانزك الملائكة علامة فارقة في تاريخ الشعر العربي الحديث من خلال كسرها للقيود التقليدية وتناولها لموضوعات إنسانية مؤلمة تظهر الشاعرة قدرة على التعبير عن معاناة الإنسان في مواجهة الكوارث وتظل هذه القصيدة مصدر إلهام للعديد من الشعراء والباحثين في مجال الأدب العربي الحديث.

- تعد قصيدة "كورونا" لعبد العزيز الهمامي إضافة قيمة للأدب العربي المعاصر حيث تظهر قدرة الشعر على التعبير عن الأحداث العالمية والتفاعل معها من خلال هذه القصيدة، كما أنه يمكن للقراء أن يتأملوا في تأثير الأوبئة على الإنسان والمجتمع وكيفية مواجهتها.

وفي الأخير يمكن القول أن أدب الأوبئة هو مرآة تعكس تجارب الإنسان مع الكوارث الصحية، حيث يظهر الصراع بين الحياة والموت والأمل واليأس والتضامن والانقسام ومن خلال هذا الأدب يمكننا فهم كيفية تأثير الأوبئة على الأفراد والمجتمعات وكيفية مواجهتها والتعافي منها، وأن دراسة أدب الأوبئة يسهم في تعزيز الوعي الجماعي وتحفز على التفكير النقدي وتعزز من قدرة المجتمع على التكيف مع التحديات المستقبلية لذلك يعد هذا النوع الأدبي جزءا أساسيا من التراث الثقافي والإنساني ويستحق المزيد من الدراسة والاهتمام.

قائمة المصادر والمراجع:

أولاً: الكتب

- أبو الفضل جمال الدين ابن منظور، لسان العرب، (مادة أ.د.ب)، دار صادر. بيروت، لبنان، 1963.
ابن خلدون عبد الرحمن، المقدمة، دار القلم، بيروت، 1981.
الهاشمي أحمد، جواهر الأدب في أدبيات إنشاء لغة العرب، دار الجيل، بيروت- لبنان، (د.س).
الملائكة نازك، ديوان نازك الملائكة، دار عودة، بيروت، 1997.

ثانياً: المواقع الإلكترونية

- الوجيه مروة، الأدب في زمن الأوبئة، تاريخ النشر، 2021/09/20،
www.daily.roselyoussef.com، تاريخ التصفح: 2024/04/05.
العامري خلدون، الأدب الوبائي مفاهيم، تاريخ النشر، 2021/12/20،
www.peacehorizons.com، تاريخ التصفح: 2024/08/04.
هيئة التحرير، ملخص رواية الحب في زمن الكوليرا، تاريخ النشر، 2021، موقع النجاح
www.annajah.net، تاريخ التصفح: 2024/04/13.
السيد رهب، تحليل قصيدة الكوليرا لنازك الملائكة، تاريخ النشر، 2021/12/22، موقع سطور
www.sotor.com، تاريخ التصفح: 2024/04/14.
بطاينة آدم، في الشعر والرواية والمقال هكذا تسلك كورونا إلى دفاتر الأدباء، تاريخ النشر،
2021/08/12، موقع الجزيرة: www.aljazeera.net، تاريخ التصفح: 2024/04/15.